

المبحث الأول- اللغة العربية تاريخها ومميزاتها وواقعا

الأهداف:

يتعرف تاريخ اللغة العربية ومكانتها بين اللغات العالمية.
يعدد أهم مميزات اللغة العربية.
يتعرف أهم التحديات التي تواجه العربية.
يتعرف إلى واقع اللغة العربية الرقمي وموقفه من هذا الواقع.

مكانة اللغة⁽¹⁾:

تتميز اللغة بأنها مزية طبيعية واجتماعية للإنسان، وهي أدق وسيلة للتعبير عن المشاعر والاحتياجات الخاصة بالفرد والجماعة، وأحد أهم مكونات المجتمع الرئيسية، ومن أهم عوامل بناء الحضارات والثقافات وحفظها وانتشارها، وهي السبب الرئيس في قيام الدول وإنشاء المجتمعات المختلفة؛ لأنّ التواصل الذي يتم عن طريق اللغة هو اللبنة الأساسية في عملية البناء هذه، وقوة اللغة وبلاغتها يُعبّر بشكل كبير عن تماسك المجتمع الناطق بها، واهتمامه بها وبقواعدها، وعلومها، وآدابها، وضوابطها، وهذا يُعدّ أجمل أشكال الرقي في التفكير والسلوك لدى المجتمعات المحافظة على لغتها.

تاريخ العربية:

تعد اللغة العربية إحدى أهم اللغات، ليس اليوم فقط وإنما عبر التاريخ البشري، وذلك راجع لأهمية اللغة العربية ومكانتها عند العرب والمسلمين عموماً.

تُعتبر اللغة العربية من أقدم اللغات الحية، وهي من أكثر اللغات انتشاراً في العالم، وواحدة من لغات العالم الست حسب تصنيف الأمم المتحدة. ويعود أصلها إلى اللغات السامية، وتُعتبر الأقرب إليها من بين جميع اللغات التي تعود لنفس الأصل، ويعود أصل أقدم نصوص عربية عُثر عليها إلى القرن الثالث الميلادي، وهي نصوص شعرية

(1) - موقع الفائدة ويب: 19.01.2020 <https://alfaidaweb.com> . وموقع: منار الإسلام، مقال ل د. أحمد الإدريسي بتاريخ

جاهليّة تتميّز ببلاغة لغتها، وأسلوبها الرّاق، ووزنها الشعريّ المنتظم، وترجح أغلب الأقوال بأنّ أصل اللّغة العربيّة يعود لبلاد الحجاز في شبه الجزيرة العربيّة، وتطوّرت مع الزّمن نتيجةً لعدّة عوامل، منها تعدّد الحضارات وتعدّد لهجاتها، وإقامة الأسواق المختلفة ومنها: سوق عكاظ.

وقد ازدادت أهمية اللغة العربية ومكانتها بشكل كبير بعد ظهور الإسلام، حيث أصبحت لغة الدين والأمة؛ نظرا لنزول القرآن الكريم بها، الأمر الذي أسهم في تعزيز الاهتمام بها، حيث أولتها جميع الدول التي تولت حكم العالم الإسلامي من وادي السند شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا اهتماما كبيرا، كما أن المدارس اللغوية والدينية التي انتشرت في العالم الإسلامي عملت على تطوير هذه اللغة ووضع قواعدها.

وخلال العصر الوسيط عرفت بأوج ازدهارها، حيث كانت لغة الدين والعلوم والآداب والسياسة، وأُلِّفت بها آلاف الكتب في مختلف المجالات، إذ أدت اللغة العربية دورا هاما في التقريب بين الشعوب والثقافات، حيث كانت صلة وصل بين الحضارات القديمة والحديثة، بفضل الترجمة التي انتشرت بشكل كبير زمن الخلافة العباسية، والتي من خلالها استطاع العالم اليوم أن يستفيد من الإرث الحضاري الإنساني القديم، عبر إعادة ترجمة الكتب العربية إلى اللغات الأجنبية الأخرى.

مُمَيِّزَاتُهَا:

تحتل اللغة العربية بأهمية ومكانة كبيرة لدى المهتمين باللغات، نظرا لما تتوفر عليه من مميزات وخصائص وقواعد دقيقة جعلتها من اللغات الفريدة في العالم، وضمّنت استمراريّتها عبْرَ القرون المتتالية، ومن هذه المزايا ما يأتي:

1. المحافظة على الأصول: تتجلى هذه الأهمية في قدرتها على الحفاظ على أصالتها التي كانت تتميز بها لغتها الأم منذ عشرات القرون، ففي النظام الصوتي حافظت العربية على نظام ثابت لم يتغير عبر الزمن عكس اللغات الأخرى، الأمر الذي يسر تواصل

الأجيال لعدة قرون، حيث بإمكان شخص اليوم من القرن الواحد والعشرين أن يفهم ويستوعب نصا يعود إلى القرن الثامن ميلادي.

2. **المزية الصوتية:** تتميز العربية بامتداد مخارج أصواتها من الحنجرة والحلق واللسان حتى الشفتين، حيث تتميز بوجود أصوات الحنجرة (الهزمة والهاء)، وأصوات الحلق (العين والحاء والغين والحاء)، وهي لا توجد بهذا التمثيل الكلي إلا في العربية، في حين أنه لا يوجد إلا بعض منها في غير العربية، كما تتَّصِفُ بعض أصواتها بالتفخيم، والتفخيم صفة ترتكز على خاصية الاستعلاء، وهو ارتفاع أقصى اللسان إلى الحَنَك الأعلى عند نطق الصوت، وأحرفُه مجموعةٌ في (خُصَّ ضَغِطِ قِظ)، أي إنَّ كلاً من الخاء، الصاد، الضاد، الغين، الطاء، القاف والظاء أصوات مفخمة، وينشأ عن ذلك الاستعلاء صدى صوتيا قويا ضخما داخل تجويف الفم.

3. **الانسجام الكتابي الصوتي:** تنفرد اللغة العربية بتحقيق صوت كل حرف في اسمه، ما جعلها في مقدمة النظم الكتابية بين لغات اليوم، حيث إن كل حرف فيها يمثل صوتا واحد فمثلا صوت (ف) يظهر في اسم هذا الحرف (الفاء)، وهو ما لا يتوفر في اللغات الأخرى، كما أنه ينطق بصوته (ف) بخلاف كثير من حروف بعض اللغات نحو صوت (c) فهو ينطق أحيانا (س)، وأحيانا أخرى (ك).

4. **الإيجاز:** ويتَّضَحُّ ذلك من خلال ما يأتي:

■ **الإعراب:** حيث يُظهِرُ الإعراب المعاني بسهولةٍ ويُسرٍ، كما يزيد من جماليَّة الكلمات، ويربطها بمعانيها الصحيحة، وهذا أمرٌ لا يُوجَدُ في اللغات الأخرى، ولقرينة العلامات الإعرابية أهميَّة بالغة، وفائدة عظيمة. فالإعراب من أهم خصائص العربيَّة، وهو تشكيلُ نهاية الكلمات وَفَقَ موقعِها في الكلام على الوجه الصحيح، وسواء أكانت العلامات الإعرابية حركات، أم حروفاً، فإنَّ العلامات الإعرابية تُغني عن تغيير ترتيب الجملة، ولها دورٌ في توضيح المعنى، فعلى سبيل المثال، عند القول: أوصلنا سعيداً، فإنَّ بناء الفعل الماضي (أوصل) على السكون، ونَصَبَ المفعول به (سعيداً) بتنوين

الفتح، هو الذي دلَّ على موقع سعيد من الإعراب، وبالمُقارنة مع الجملة: أخبرنا سعيد، فإنَّ رَفَعَ (سعيد) بتنوين الضم، يدلُّ على أنَّه الفاعل.

■ الاشتقاق؛ فاللغة العربيَّة غنيَّة باشتقاقاتها؛ إذ تُشتقُّ الكلمات من الحروف نفسها، وتتغيَّر من وَزْنٍ إلى آخر دون الحاجة إلى كلمة مُساعدة، مثل: كَاتِب، مَكْتُوب، مَكْتَب، ومَكْتَبَة.

■ غنى أفعالها؛ فالفعل العربيُّ يحافظُ على حروفه مهما تغيَّر زمنه، ولكلِّ حَدَثٍ أو معنى لفظ خاصٌّ به، ويدلُّ عليه بإيجاز، ومثال ذلك من يستيقظُ مريضاً مثلاً فيقول: أصبحتُ مريضاً، أي استيقظت مريضاً في الصباح، أمَّا إذا قيل مثلاً: أصبحتُ الأمور أفضل، فإنَّ المقصود أنَّ الأمور صارت أفضل في وقت الصباح؛ فالفعل الواحد قد يُؤدِّي معاني مُختلفة حسب الجملة.

■ غنى حروفها؛ فحروف اللغة العربيَّة كثيرة ومُتعدِّدة المعاني، ولكلِّ حرفٍ في اللغة العربيَّة معنى مقصود، يفيدُه، ويوجِّزه، ومن الحروف ما يحملُ عدَّة معاني، مثل: أعطني من مالِك، فحرف الجرِّ (من) يفيد التبعية، أي أعطني بعضاً من المال، فقد أوجز المُتحدِّث المعنى المُراد، أمَّا إذا قيل: خرجنا من الخامسة، فحرف الجرِّ (من) يفيد ابتداء الغاية الزمانيَّة للخروج.

■ بعض الأساليب اللغويَّة، مثل: تقدير الفاعل من خلال الضمير المُستتر، والتقديم، والتأخير، والحذف، كتقديم المفعول به على الفاعل، أو تقديم الخبر على المُبتدأ؛ بغرض التفاخُر، كأن يتفاخَر أحدهم بنَسَبِه، أو أصلِه، أو قبيلته، أو بلدِه، فيقول: عربيُّ أنا.

5. الإعجاز: إذ يتعدَّر نقلُ، أو ترجمة كثير من مُفرداتها، وخاصة مُفردات القرآن الكريم، إلى لغة أخرى تُؤدِّي المعنى المُراد نفسه، فإذا كانت العرب قد عجزت عن الإتيان بمثل القرآن في كلامه ومُفرداته، فكيف بغير العرب؟ لذلك فإنَّ بعض المُترجمين استخدموا الكلمات نفسها عند الترجمة من العربيَّة، إلى الإنجليزيَّة.

6. التمييز بين الجنس والعدد في ألفاظها، فتميز بين جنسي المذْكَر، والمؤنَّث في اللفظ، وذلك بزيادة التاء المربوطة؛ إذ يُقال: قارئ، وقارئة، أمّا اللغة الإنجليزية، فهي تستخدم اللفظ ذاته للمذْكَر، والمؤنَّث، كما في كلمة (reader)، وتميز عددا بين المثنى والجمع؛ إذ يُقال في العربيّة: قارئان، وقُراء، بينما تَرِدُ في الإنجليزيّة في الحالتين.

readers

7. السعة: فمفرداتها كثيرة، ولكلِّ مُفردة دلالة، أو معنى يختلفُ عن الآخر، فهناك معاني عدّة للحزن، كالأسى، والتّرح، والشّجن، والغَمّ، والوجد، والكآبة، والجَزَع، والأسف، واللهفة، والحسرة، والجوى، والحُرقة، واللوعة.

8. التخفيف: تحقق العربيّة في أبنيتها نوعا من الانسجام بتخفيف النطق؛ عندما يُسْتَثْقَل أصل البناء، مثل: كلمة (ميعاد)؛ حيث إنّ أصلها بحسب الميزان الصرفي (مِوَعاد)، حيث تستبدل الياء بالواو؛ لتسهيل، النُّطق وتخفيفه، ونحو: اصطاد؛ فأصلها الصرفي: (اصتاد) قلبت التاء المرققة طاء مفخمة لمجاراة الصاد المفخمة؛ طلباً للخفة والانسجام.

التحديات التي تواجه اللغة العربية اليوم:

تواجه اللغة العربية اليوم مجموعة من التحديات، بعضها ينتشر بشكل كبير في المجتمعات العربية، ويؤثر بشكل سلبي عليها، حيث يقلل من وجودها في الواقع اللغوي المتداول بين أهلها، ولعل أهم هذه التحديات:

1) الانتشار الكبير الذي أصبحت تعرفه اللهجات أو اللغة العامية في حياة المجتمعات، وفي وسائل الإعلام بشكل كبير جدا، الأمر الذي يهدد اللغة الأم ويجعلها في درجة أقل ومستوى ثانٍ. ويتجلى الخطر الأكبر لهذه الظاهرة في محاولة نقل اللهجات العامية من المستوى الشفوي إلى المستوى الكتابي، الأمر الذي يؤدي إلى تجسيد لغة ثانية تفتقد إلى القواعد الكتابية والإملائية والصرفية.

(2) تواجه اللغة العربية تحديا خطيرا يتمثل في العولمة، المتمثلة في هيمنة دول المركز وسيطرتها . في ظل نظام عالمي . على بقية دول العالم في جميع المجالات الحيوية السياسية والاقتصادية والعلمية والثقافية كوحدة مركزية موجهة، وما تفرضه من سياق ثقافي أحادي يحارب التعددية الثقافية في العالم، حيث تفرض القوة السياسية والاقتصادية لدول المركز واقعا لغويا وثقافيا تابعا لها، لتصبح بذلك الدول الأخرى الضعيفة ولغاتها مجرد تابع للدول القوية.

(3) التحدي الأكبر للغة العربية يتمثل في استبعادها من العملية التعليمية في التدريس الجامعي وفي المعاهد العليا والمدارس الخاصة مما يؤدي إلى تعميق الخطر، إضافة إلى تبنيها في بعض المراحل العمرية الأولى لتدريس الطفل، الأمر الذي ينعكس على درجة استيعابه للغته الأم.

واقع اللغة العربية الرقمي وتطويره: (2)

أسهم التحول الرقمي للغات في اتساع نطاق انتشارها وامتدادها، حتى أصبحت، بدرجات متفاوتة، مسيطرة للتطور، مندمجة في العصر، وقابلة للتكيف مع المتغيرات. ومن هذه اللغات التي وصلت إلى هذا المستوى، اللغة العربية التي لم تعرف عصرا من الازدهار وذيوع الصيت وسعة الانتشار وعموم التداول مثل هذا العصر، فهي اليوم تحتل المرتبة الرابعة بين اللغات العالمية الحية، وهي إحدى اللغات الست المعتمدة رسميا في منظمة الأمم المتحدة، وفي المنظمات والهيئات الدولية التي تعمل في إطارها.

ولئن كان لهذا التطور، الذي يمكن أن نطلق عليه (النقلة الرقمية)، من منافع جمة، وفوائد كثيرة، ومزايا عدة، فإن أغراضه السلبية وآثاره غير المحمودة، لا يمكن أن تُنكر بأي حال، وهو ما يتجلى بالوضوح الكامل، في مزاحمة العاقيات للفصحى في العالم العربي، على الرغم من هذا الانتشار الواسع من خلال المحتوى العربي على الشبكة (الإنترنت)، التي تضمّ مكتبات كاملة من التراث العربي الإسلامي، ومئات الآلاف من

(2) - اللغة العربية في العصر الرقمي: عبد العزيز التويجري، صحيفة الحياة اللندنية، 2019/4/1م.

المؤلفات العربية الحديثة في مختلف حقول المعرفة، ومواقع التواصل الاجتماعي عبر الواتساب وتويتر وفيسبوك ويوتيوب وأنستغرام، وغيرها، وعلى الرغم من المركز الدولي الذي أصبح للعربية.

واللغة العربية إذا كانت خلال هذه المرحلة، تعرف طفرة صاعدة في عصر الثورة الرقمية، أو ما يُصطلح عليه بالعصر الرقمي، فإنها تحتاج إلى قدر من (الانضباط اللغوي)، للتحكم في مساراتها حتى لا ينفلت عيارها وينفطر عقدُها، وهي المهمة الرئيسية للأمناء على اللغة العربية من حُماةها، والذائدين عنها، والغيورين عليها، والعاملين من أجل ارتقاءها، والحفاظ على سلامتها، ومناعتها، وصلابة بنائها؛ للوقوف في وجه تيارات الغزو والهدم والتخريب، وصدّ موجات الإفساد والتشويه والتميع التي تستهدفها، التي تأتي غالبا من التواصل الاجتماعي غير المتحكم في اتجاهاته الملتوية والمتشعبة، الذي لا تُراعَى فيه القواعد والأصول والخصوصيات التي تتميز بها اللغة العربية. فاللغة، أي لغة، تنهض بنهوض أهلها، وتُخمد جذوتها بانطفاء شعلة الأمل والعزيمة والهمة والإصرار على التقدم لديهم، فكلما اقترب أصحاب اللغة من سبل النهضة وصمموا العزم على بناء قواعدها، اقتربت هي من ينابيع التطوير والتحديث والتجديد، فإذا كان التواصل الاجتماعي باللغة العربية، على الشبكة منضبطا ومتوازنا وحريصا على استخدام لغة سليمة، ومرنة وقادرة على إفهام الناس، تطورت اللغة ونمت وازدهرت، وكان الأثر الإيجابي للتواصل الاجتماعي في التطوير اللغوي فاعلا ونافذا وعميقا، أما إذا كان هذا التواصل فوضويا وعشوائيا ولا ينضبط بقواعد اللغة من قريب أو بعيد، وهذا هو الحال، فسيكون الأثر سلبيا غاية السلبية، وإن كان بدرجات متفاوتة. وإذا كان الواقع يشهد أن اللغة العربية تنتشر انتشارا واسعا في العالم الرقمي، فإن هذا الواقع يثبت أيضا، أن حالة اللغة العربية اليوم ليست أحسن مما كانت عليه من قبل، من ناحية الحفاظ على سلامتها، ليس من الناطقين بها المتداولين لها فحسب، بل حتى من بعض ذوي العلم والأدب والثقافة والمعارف العامة، الذين يكتبون بها أعمالهم الفكرية والعلمية والإبداعية، ومن فئة من المدرّسين لها في مختلف المراحل التعليمية، بما في ذلك التعليم الجامعي، الذين لا يحترمون قواعدها، ولا يحافظون على صحتها وسلامتها.

والنهوض باللغة العربية خارج دوائر التواصل الاجتماعي، أسبق في الأهمية من أي حركة أخرى ترمي إلى تحديث اللغة وتجديدها من خلال تلك الدوائر، فاللغة تنمو وتتطور وتزدهر في المدارس والمعاهد والجامعات، وفي وسائل الإعلام المختلفة، وفي الجامعات اللغوية، وفي حلقات الدرس الديني بالمساجد، وفي مراكز البحوث والدراسات المتخصصة في هذا الحقل المعرفي. وتنتقل اللغة من هذه المواقع جميعاً إلى الشبكة وإلى حسابات التواصل الاجتماعي، وقد اكتسبت شروط الصحة والسلامة والمناعة، وامتلكت مقومات النقاء والصفاء والبهاء؛ لتكون الوسيلة الناجعة، والأداة السليمة، والقناة الصحيحة للتواصل الاجتماعي على تعدّد منابره، وبذلك يكون الأثر الإيجابي للتواصل الاجتماعي في التطور اللغوي حقيقة ملموسة، وواقعاً حياً ناطقاً بالمستوى الراقى الذي وصلت إليه اللغة العربية، سواء في الفضاء الافتراضي، أم في حياة العرب والمسلمين وجميع الناطقين بها من مختلف أنحاء العالم.

إنّ التدفق اللغوي الفيّاض في هذا العصر ظاهرة عالمية، ولذلك فإن اللغة الصحيحة السليمة التي تمتلك مقوّمات القوة لا بد أن تفرض نفسها، وإن صادفتها العراقيل واعترضت العوائق سبيلها. وعلى هذا الأساس، يمكن أن نتنبأ بمستقبل زاهر للغة العربية على الشبكة وعلى مواقع التواصل الاجتماعي، حين يصل التطور اللغوي إلى الدرجة العليا، فتطغى الفصحى الجديدة التي تسير العصر وتزول الشوائب والعوارض عنها، التي هي من رواسب عصور التخلف والتراجع الحضاري، وتنتشر اللغة العربية في مختلف الآفاق ويترسّخ الأثر الإيجابي للتواصل الاجتماعي في التطور اللغوي، حين يتراجع الأثر السلبي تدريجياً ويصبح شبه منعدم، ويخلو المجال الرحب للغة الفصحى فتكون اللغة العربية غدا هي سيدة الموقف في جميع الأحوال.